الأديب
نزيه خير

ثنائية الحزن والأمل في شعر نزيه خير

سالم العطاونة

نبذة عن حياته[1]:

هو نزيه أمين خير، من أهمّ وأبرز شعراء الجيل الثّاني، وُلِد عام 1946 في قرية دالية الكرمل من قضاء حيفا.

التحق نزيه خير بإحدى المدارس الابتدائيَّة في قريته، ثُمَّ انتقل بعدها إلى المدرسة الثّانوية البلديَّة (أ) في حيفا، وأنهى دراسته الثّانوية في كلية تيراسانطا في عكا. التحق بجامعة حيفا، فدرس فيها اللُّغة العربية والعلوم السياسيَّة، وحصل على شهادة اللَّقب الأوَّل عام 1972، ثُمَّ تابع تعليمه للَّقب الثّاني في العُلوم السِّياسيَّة، وحصل عليه عام 1976. كان نشيطًا في الحركات الطلابية في الجامعة. عملَ محاضرًا للّغة والأدب العربي في دار المعلِّمين العرب بحيفا، وعمل مديرًا لتحرير مجلَّة "48"- مجلَّة اتحاد الكُتّاب العرب الفلسطينيين، وهو من المؤسِّسين للاتحاد العامّ للكُتّاب والشُّعراء العرب، وكان عضو الهيئة الإداريَّة "للاتحاد العامّ للكُتّاب العرب الفلسطينيين في إسرائيل"، كما أشغل منصب مدير "دائرة الثَّقافة والفنون" للوسطين الدُّرزي والشَّركسيّ.

تولَّع بالمطالعة والأدب منذ صغره، فنظم ونشر القصائد باكرًا. بدأ كتابة الشِّعر في أواسط الستينات من القرن العشرين، ثم واصل الكتابة والنَّشر في الصُّحُف العربيَّة في البلاد وخارجها، كتبَ قصيدة التَّفعيلة فترة طويلة من حياته الأدبيَّة، أشعاره وقصائده مسكونة بهموم أهله في الوطن المحتلّ، وهو يُعبِّر عن معاناتهم وصمودهم بأملٍ وتفاؤل.

---

[1] راضي صدّوق، **شعراء فلسطين في القرن العشرين: توثيق أنطولوجيّ**، بيروت: المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، 2000، ص.659-661؛ كمال قاسم فرهود، **موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**، حيفا: مكتبة كلّ شيء، 1998، المجلَّد الثّاني، ص. 1535.

كان له نشاط ثقافيّ ملحوظ على الصَّعيدين المحلّي، والعربي، فقد قدَّم لسنوات طويلة برنامجًا ثقافيًّا في التِّلفزيون الإسرائيليّ، كانت تبُثُّهُ القناة الأولى، وشارك في العديد من المهرجانات والنَّدوات الأدبيَّة، والفكريَّة في الدُّول العربيَّة المختلفة.

تُوفِّي عام 2008 عن عمر يناهز 61 عامًا، وذلك بعد سنوات طويلة من الصِّراع مع المرض.

قال في مقابلة معه: "الحزن مُفرَدة رئيسيَّة في حياتي، بسبب ضياع الأرض وتشتُّت الأهل، ورُغم ذلك فإنَّني أكثر النّاس تفاؤلاً، وثقة في أنَّ الحقّ لا يضيع طالما وراءه مُطالِب، صحيح أنَّ الحُزن يسكُن غُرَفَ قلبي ويصبغُ كُلَّ كلمةٍ تصدُرُ من الأعماق، وأنَّ الفَرَجَ لم يأتِ بعدُ، إلاّ أنَّ المعنَيَيْنِ موجودان في داخلي يتصارعان، ويتعانقان. فهُما كاللَّيل والنهار يتعاقَبان"[2].

أصدر 16 كتابًا، منها دواوين شعريَّة، ومنها ترجمات عن العبريَّة.

وهذه جريدة مؤلَّفاته مرتَّبة حسبَ تاريخ صُدورِها:

- **أغنيات صغيرة: شعر**، عكّا: دار الجليل للطِّباعة والنَّشر، 1968.
- **قراءة جديدة لسورة الياسمين: شعر**، د. مط.، 1974.
- **كتاب دموي لأبي تمام**: شعر، 1984.
- **رائحة المطر: شعر**، 1990.
- **الذّاكرة الزَّرقاء** (قصائد ترجمها عن العبريَّة، بالمشاركة مع سميح القاسم) تلّ أبيب: مفراس، 1991.
- **ذاكرة المطر: نثر**، 1991.
- **مقعدٌ دائم للحُلُم** (قصائد مترجمة له) 1991.
- **مسافة من القلب وأخرى من الذّاكرة**، 1992.
- **الملتقى والمواجهة:** أنطولوجيا أدبيَّة، 1994.
- **ثلج على كنعان: شعر**، 1995.

[2] مقتطفٌ من لقاء صحفيّ مع الشّاعر لصحيفة: **النَّدوة** (مكَّة المكرَّمة)، 1993/8/17.

- **العودة إلى القبيلة: أنطولوجيا شعريَّة**، 1997.
- **أصوات على الطَّبيعة** (قصائد مترجمة له ولشاعر جنوب إفريقي) 1997.
- **ورثت عنك مقام النهاوند**: شعر، القاهرة، 1999.
- **أشعار إلى الأندلُس** (قصائد مترجمة إلى الإسبانية مع شعراء آخرين) 1999.
- **الخروج من الأندلُس**: شعر، 2008 صدر في رام الله بعد وفاته.
- **رجوع** (قصائد مختارة للشَّاعر) 2009، أصدرتها وزارة العلوم والثّقافة بعد وفاته.

حصل على عشر جوائز لأحسن قصيدة 71-1974، وعلى جائزة الإبداع الأدبي 1989، كما حصل على جائزة التفرُّغ للأدب عام 1992، وعلى جائزة رئيس الدَّولة للآداب عام 1997، وجائزة الكاتب المفضَّل لعام 2000 من قِبل "المجلس الأعلى للإعلام الفلسطيني".

شعره:

بدأ الشاعر نزيه خير مشواره الأدبي شابًّا متحمّسًا يحمل طاقات من القدرة الأدبيَّة المستقلة حيث لم ينتم لأيّ إطارٍ رسمي يدعمه أو يروّج لإنتاجه الأدبي، بل كان مستقلاً عصاميًّا واثقًا من قدرته على شقّ طريقه الأدبيّ بشكل منفرد، مستندًا بذلك على ملكة الشِّعر الخاصَّة التي يملكها، حيث أكسبته شهرة في الدَّاخل وفي الخارج.

لم يحظ شعر نزيه خير بدراسة وافية لأعماله الشِّعريَّة بل هناك دراسات قصيرة تناول بعض جوانب شعره، مثل الدِّراسة التي قام بها الدّكتور نبيه القاسم، ودراسة قصيرة أخرى للدّكتور فاروق مواسي، وبعض المقالات في مواقع الإنترنتّ. لذلك اعتمدنا في هذه الدِّراسة على الإنتاج الأدبي المباشر للشّاعر.

إنّ الباحث في شعر نزيه خير لا بدّ له من الوقوف على محطّات عديدة في حياته الأدبيَّة، إذ بدأ مشواره الشِّعري متَّخذًا من الرّوحانية مشعلاً يضيء به الطريق، وقد عالج قضايا عديدة في هذه المرحلة مثل:

الهموم الذاتية للشاعر، إذ نجد الكثير من أشعار الفترة الأولى تتمحور حول شعوره الفردي تجاه مواضيع شتى تجيشُ في نفسه، ولذلك استخدم ياء المتكلِّم كثيرًا في هذا الباب، مثل:

القصيدة الأولى في ديوانه الأوَّل "أغنيات صغيرة":

"حملتك مذ تنفّست الأضاحي ..... وأتعب خاطري ..ندم غريب"(رجوع، صفحة 7).

ويظهر لنا ضياعه وعدم اهتدائه إلى الطريق في قصيدته الثّانية "بين لحظتين" التي تذكرنا بمطلع قصيدة "الطلاسم" لإيليا أبي ماضي

"جئت لا أعلم من أين ولكنّي أتيتُ" .

فشاعرنا أيضًا ضلَّ الطّريق .

وفي القصيدة الثانية "بين لحظتين"، يتحدَّث عن شعوره بالغربة:

"مشيت في مجاهل غريبة الزمان / طويت ألف مفرقٍ عتيق / سألت ألف عابر / من أين يا صديق"(رجوع صفحة 8).

وعن شعورة بالضياع يقول في قصيدة "بعد أعوام":

"إن ضيعتني / على درب الظلال رؤى / وفوق عينيك / ضمت جرح أوزاري" (رجوع، صفحة 12).

ويتحدَّث عن كشفه للحقيقة أيضًا في قصيدة "بين لحظتين"، يقول:

"عرفت زيف ما نكون / عرفت كيف دارت السُّنون / ضيعت بحارها / مرافئ السُّكون" (رجوع صفحة 9).

يصبو شاعرنا إلى البقاء في العيش بين شكوكه وظنونه لأنَّه سيدخل في حيرة إذا انتهت، حيث يقول:

"أحبُّ لو تظلّ رُغم حزنها / تشدُّني عن غيبها الظُّنون / أحار لو تضيع مرَّة "(رجوع صفحة 11).

شعوره بالحبّ:

"حين التقينا / وشدَّت في يدي يدها / بعض العتوب / وألقَت طيفها النّاري / طويتُ كلَّ حقول الصُّبح / عن قدر / وعدت أحبو / لقنديلي وقيثاري"(رجوع، صفحة 13).

فيتخيَّل حبيبته وكأنَّها إلها، حيث يقول:

"أخالها / في شروع الصَّمت إلهة / لعاشق الليل / أرخت نهدها العاري / وأسلمتني لصبح / أنت مطلعة / وأنت فيه / إذا ما شئت أقداري" (رجوع، صفحة 13).

أمّا الحزن فله وقع خاصّ في نفس الشّاعر نزيه خير، فيقول في ذلك:

"غمام الحزن نوّاري / ظلّي" (بعد أعوام، صفحة 14).

وفي قصيدة أسوار يقول:

"ماذا ستلقين غير الحزن من قدري ... / غير الوداع بليل عاصف القدر" (رجوع، صفحة31).

ثم يجعل الحزن عنوانًا لقصيدة من ديوانه يقول فيها:

"رغم الأعذار المنسيَّة / تنتصب وراء الصمت / مأساة الحزن الأبديَّة" (رجوع، صفحة 34).

الأمل، بالرّغم من طغيان أحزانه وضياعه وألمه، إلا أنَّ الشّاعر نزيه خير رجل أمل، فهو متفائل حيث يعتبر أنَّ كلّ ظلم أو حزن أو ألم نهايته أمل، وهذه النّهايات كثيرة في قصائده، حيث يرى أنَّ الأمل يولد من الألم.

فينهي قصيدته "سطر من البدء الباقي" بقوله المتفائل:

" لا بأس / كلّ ملامح الإنسان باقية / وخلف تسمر الآفاق تنهمر السُّيول / سيعود موسمها / ومن ألم الوداع تكون زغردة الوصول" (رجوع، صفحة 23).

وينهي قصيدة "وراء الغيب" بقوله:

"وموعدنا / إذا انعتقت جروح / نطوفه / على قمر مهل"(رجوع، صفحة 65).

وتنتهي أيضًا قصيدة "بكائيَّة على طريق المدينة":

فغدًا تضاء مدينتي / وبرؤى منوَّرة الخواطر ... فاضلة .." (رجوع، صفحة 92) "قراءة جديدة لسورة الياسمين".

انقطع نزيه خير عن نشر أشعاره مدَّة عشر سنوات رغم استحسان الجمهور وتلقّيه لأشعاره بالإعجاب والافتتان، إلاّ أنَّ الشّاعر لم يكن راضيًا عن نفسه وأدائه الشِّعري، عاد نزيه خير بعد عشر سنوات وأصدر ديوانه "قصائد من كتاب دموي لأبي تمام" عام 1984 ومن خلاله سمعنا صوتًا شعريًّا مدوّيًا صارخًا بهموم النّاس وقضاياهم، وعلى الرّغم من سلاسة الألفاظ ونعومتها إلاّ أنّه انطلق يعالج الأمور الحياتيَّة، والمشاكل العصريَّة حيث أصبحت القضيَّة الفلسطينية خاصَّة، والعربيَّة والعالميَّة عامَّة أمرًا يعبر عنه الشاعر بنبرةٍ قويَّةٍ ونظرة ثاقبة، ورأى نفسه صوتًا يمثِّل جميع المظلومين والمقهورين في هذا العالم وذلك بشكل مستقلّ دون انتماء إلى أيّ إطار سياسي.

البُعد الوطنيّ:

على الرّغم من محاولة إسرائيل الفصل بين الدُّروز والأقليَّة العربيَّة في داخل إسرائيل باتِّباعها سياسة فرِّق تسُد، إلاّ أنَّ هذه السِّياسة باءت بالفشل فذكر نزيه خير الوطن بشكل مباشر أحيانًا، وبالتّلميح أحيانًا أخرى فنراه يربط بين أجزائه متحدِّيًا الحدود السياسيَّة والجغرافيَّة في قصيدته "العودة إلى القبيلة" فيبدأ بذكر أورشليم، ثمَّ أريحا ثمَّ بوابة الخليل وبيت لحم وجبل الكرمل، حيث يقول:

"المطر الساقط فوق سطوح أورشليم ".

ثم أردف يقول:

" وكأنَّ رحاب في طريقها إلى أريحا / أمّا أنا فكنت واقفًا أحاول البكاء / على بوابَّة الخليل".

ويُكرِّر اللازمة فيقول:

"وكانت رحاب في طريقها إلى أريحا / التي أصبحت في الشّمال من كُروم بيت لحم / التي أزهرت في العاشر من شهر الحصاد / فوق جبل الكرمل".

ويعتبر نزيه خير ثمار الوطن الفلسطيني خير ثمار الأرض وأطيبها، حيث يقول:

"وماذا يخرج من زيتونة الأندلس سوى زيت / هو أقلّ طيبًا من زيت زيتون الرّامة والجليل / وأيّ لوز أطيب من لوز كروم بيت لحم".

ثم يصرّح بشكل واضح ومباشر مناصرته لأبناء شعبه الفلسطيني حيث يقول:

"يا أيها البطل الفلسطيني مدَّ لها يدًا / يا أيّها البطل الفلسطيني مدَّ لها يدك ".

وتظهر مناصرته للمقاومة الفلسطينية المحاصرة في بيروت في أكثر من موضع، حيث يرى أنَّه قد يخرج من الحصار عودة إلى حيفا وشواطئها فيستذكر عزَّ الدين القسَّام ومرتا البانية، ويقول:

"من يدري أنَّ طريق الشوق إلى حيفا / يعرفها عزُّ الدين ..وتعرفها مرتا البانية".

ويذكر نزيه خير بأنَّ هؤلاء ليسوا جنودًا مجهولين، بل لهم وطن وأرض وأحباب، وأحلام، وبيوت وأولاد فيقول:

"لا يوجد في هذا العالم جندي مجهول واحد / الجندي المجهول له وطن / وله أرض وله أحباب / الجندي المجهول له حلمٌ وله بيت / وله أولاد".

يتعاطف مع هؤلاء ويتمنَّى الموت فيقول:

" يا زمن الغربة أعدمني / إن كنت أظلّ بلا أهل / أو كنت أعود بلا ميلاد" (رجوع، صفحة 380).

وقيمة الوطن لا يقابلها شيء عند الشاعر نزيه خير حيث يقول:

"أيّ كنز لا يساوي وطنًا / لا يساوي شوكة في وطن" (رجوع، صفحة 392).

ويصوّر لنا عودة اللاجئين في قصيدته "طالع الرَّحيل":

"أقول للرّيح شمّالي / كي تحملي أخبار من يعود".

ثمَّ يُكمل في موضع آخر:

"غدا .. تعود من رحيلها / قوافل الشَّمال" (رجوع صفحة، 164).

البعد النَّثري:

بالرّغم من حالة العزل التي عاشها العرب الفلسطينيين داخل إسرائيل عن الشُّعوب العربيَّة إلاّ أنَّ الشّعور القومي كان أقوى من كلّ الحواجز ، وقد فتحت حرب عام 1967 الأبواب أمام الاتِّصال بالعالم العربي والتَّفاعل في جميع الميادين.

يُعتبر الشّاعر نزيه خير مِن أكثر شُعراء الأقليَّة العربيَّة في إسرائيل الذين تناولوا موضوع القوميَّة العربيَّة، فأشعاره مليئة بالقصائد والمقاطع التي تُبرز ذلك بشكل واضح، فعلى الرّغم من محاولة السُّلطات الإسرائيليَّة عزل الأقليَّة العربيَّة في إسرائيل عن إخوانهم العرب إلاّ أنَّ هذه السِّياسة فشلت، إذ سعت إسرائيلُ إلى خلق قوميَّة منفردة الدُّروز في الجليل الأمر الذي رفضه نزيه خير رفضًا قاطعًا وأخذ يتغنّى بالعُروبة وأمجادها، ويفخر بكلِّ قُطرٍ عربيٍّ وما اشتهر به، ففي قصيدة "خطاب من العالم الثّالث" يمجِّد بلحَ العراق والسَّفر إلى الجليل، والعسل من الفرات والعنب من الخليل:

"من يشتهي بلحًا ...يحنُّ إلى العراق / أو يشتهي سفرًا ...يحنُّ إلى الجليل / من يشتهي عسلاً.. يغبُّ من الفُرات / أو يشتهي عنبًا ... فمِن عنب الخليل" (رجوع، صفحة 187).

ثم يُبيّن فخره بالعالم العربي بأسره حين يقول:

"نحن شعوب من المحيط إلى المحيط / ومِنَ المحيط إلى الخليج"(رجوع، صفحة 188).

ثمَّ يُكمل مفتخرًا، أو محذِّرًا من غضب العرب إذا مسَّهم الضَّيمُ فيقول:

" فإذا أردت قبائلاً / إذا أردت أفارقا / وإذا أردت ...فنحن بحرٌ من عربٍ / تهتزُّ في دَمنا الكرامة حينما نعرى / ويسرقُ خبزنا / ونصيرُ عاصفة من السّودان / تجتاح المدائن والملوك / وتنتهي قدرًا على أعناقهم"(رجوع، صفحة 188).

ثم ينصح الحكّام العرب أن يتَّخذوا من المغرب العربي مثالاً يحتذى به في التَّقدُّم والثَّورات حيث يقول:

"نُهديك أهل المغرب العربي يوم تقدَّموا / نُهديك ثورة خبزهم .. " (رجوع، صفحة 190).

ثم يناشد نزيه خير الشُّعوب بالانتفاض، ومنها الشُّعوب العربيَّة حيث يقول:

"انتفضوا يا كلَّ شُعوب البحر / ويا كلَّ شُعوب الصَّحراء".

ويتغنّى نزيه خير في قصيدته "مقعد ثابت للحُلم" بالفتوحات العربيَّة القديمة حيث يتخيَّل أنَّه يركب قطار الشَّرق السَّريع، ويقوم بجولته الأخيرة متخيّلاً حلمه إنسانًا متَّكئًا على عصا السُّلطان العُثماني سليم الفاتح، ويدخل متحف أيا صوفيا في إسطنبول ثم ألبانيا، والهلال الخصيب والرُّبع الخالي لا تفصل بينه حدود إلاّ أنَّ الوضع اليوم تغيَّر، ووُضعت اللافتات التي تفصل هذه المناطق عن بعضها البعض بدلاً من أن يكون هذا الوطن وطنًا واحدًا.

ثم يُتابعُ فيقول إنَّ من غيَّر اسم بحر العرب إلى بحر الرّوم لن يفيده ذلك شيئًا لأنَّ هذه الحقائق لا يمكن أن تتغيَّر أو تتحوَّل لأنَّ المستعمر يأتي ثمَّ يغادر، وتبقى الحقائق كما هي.

"يا أيُّها الآتي من البحر البعيد / تخطّ خاطرة الزّمان لنا / تسمّي بحرنا العربي بحر الرّوم / تستجدي شواطئنا"

ثم يُكمل فيقول:

"تأتي وتذهب البلاد هي البلاد بأهلها / تأتي وتذهب، والنَّخيل هو النَّخيل ؟!"(رجوع، صفحة 215).

وفي قصيدة "توشيحة عراقيَّة من ألف ليلة"، يشكو الشّاعر ما يجري ويدور في العراق، حيث يقول: هل عاد البرامكة ليزرعوا الشِّقاق مثلما حاولوا زمن هارون الرَّشيد؟

يستنجد العرب المتجمدين بالنَّخوة العربيَّة، والكبرياء العربيّ إن كان بقي منها شيء عندهم، ماذا تنتظر الزّعامات العربيَّة لنجدة العراق؟ أن تتعرّى نساؤه في وجه المستعمرين الغزاة، وأنتم تغطّون في سباتٍ عميق.

فيقول:

"أنا عاتب يشكو إلى زمنٍ يهون به الوفاق / هل عاد أحفادُ البرامكة الذين تفرَّقوا / في عصر هارون الرَّشيد إلى العراق"

ثم يكمل:

" يا أيُّها العرب الذين تسمَّروا / من أين أعطيكم بقيَّة نخوة / ونقاء عاطفة ومسحة كبرياء / لم يبق إلاّ أن تُعرّين العراقيّات / في وجه البرابرة الغُزاة صدورهن" (صفحة 340).

ويفخر الشّاعر بالعرب قديمًا عندما كانوا رحّلاً يتحلّون بصفاتِ المروءة،

فيقول في ذلك:

"كان العرب الرُّحَّل يحمون صدور سباياهم / ويردّون رياحَ البحر عن الأمصار المحترقة"(صفحة 354).

البعد الأُممي:

أيَّد نزيه خير الثَّورات من أجل الحرِّيَّة في كُلِّ بُقعةٍ من بقاع الأرض، فغنّى لكلِّ الأحرار أينما كانوا، مبديًا رأيه بأنَّ الحرِّيَّة حقٌّ أساسيّ لكل إنسان، فيذكر كوبا كرمز تحدّى الاستعمار وقهره، كما يذكُر الثُّوّار في معارك نهر الميكونغ فيقول:

"وكبرنا ..لا نسمع إلا صوت الأوطان المنتصرة / صرنا نقرأ عن كوبا / نسمع ..عن بعض معارك نهر الميكونغ / نسمع أخبارًا شتّى"(صفحة 153).

وكذلك أنَّ الدُّنيا هي مُلكٌ للثُّوّار من أجل الحرّيَّة ولا بدَّ أن ينتصروا. فيقول:

"والدُّنيا –علّمني جدّي-/ تبقى ملكًا للأحرار.. "(صفحة 152).

يعتبر نزيه خير في قصيدته "من رسالة السّياب الأخيرة إلى غيلان" أنَّ الظلم مهما طال لا بد وأن يزول حيث يقول:

"لا الأرض باقية على ظلم، ولا ريح الصّبا غربت / ولا الميزان مال...! " (رجوع، صفحة 261).

يتعاطف نزيه خير مع أبناء البوسنة وأطفال مخيَّم نهر البارد الفلسطيني في لبنان الذين حُرموا من الذّهاب إلى المدارس فيقول:

"عشرون من الأولاد انتظموا فوق مقاعدهم / عشرون انتظموا / إلا ولدان اثنان / واحدهم من أحياء البوسنة / والآخر من نهر البارد في لبنان.." (رجوع، صفحة 266).

البعد الإنساني:

قاوم نزيه خير في شعره كلَّ مظاهر الظلم الإنساني، والعنف البشري الذي تمثَّل في الحروب والقتل، فنجد أنَّ هذه السِّمة لها بروز خاص في شعره.

ويصل إلى قمَّة العطاء في الحبّ الإنساني في قصيدته "الفنار..! " حيث يقول:

" سأعطيك مفتاح بيتي ... ومفتاح قلبي / وكلَّ الطُّيوب التي أورثتها / علية ذات الخمار لأهل الجنوب / سأعطيك موجًا ..وأعطيك بحرا / وأعطيك عكا.. وأعطيك حيفا / وأعطيك من نرجس الرّوح عودا / وأعطيك عقدا ..وأعطيك وعدا " (رجوع، صفحة 233).

يشكو الشاعر من الحروب والقتل في قصيدته "من أوراق عاديَّة"، فيقول:

"صار بكائي لا يعني شيئًا / وجميع المصطلحات المرفوضة / القهر.. الموت.. العنف.. الغضب.. العار / صارت أوسمة مرفوعة!!" (رجوع، صفحة 384).

ينظر نزيه خير إلى الإنسان كونه إنسانا بغضّ النَّظر عن نسبه أو دينه، وهذه نزعة إنسانيَّة امتاز بها الشاعر ففي قصيدته "جفرا تُعيد فارسَها من بيروت إلى صفين" يقول:

"كنّا إذ ذاك رجالا / لا نعرف بعضًا بالنَّسب العائد .. أو بالين / كنا عمالا.. وفصائل فلاحين" (رجوع، صفحة 372).

ينتفض الشّاعر على ظاهرة قتل الإنسان للإنسان، ويعبّر عن ذلك بقوله:

"مأساة هذا الموت الطّالع من صنع البشريَّة / لا شيء يثير غرائزنا ..غير الأخبار الهمجيَّة / قتلوا...قتلوا...قتلوا.. / كي نقتل نحن الوقت.. / كي لا يحلم إنسان بعد اليوم / في لحظة صمت" (رجوع صفحة 468).

مناصرة الطبقات المسحوقة:

نلاحظ أنَّ مناصرته للطبقات العُمّالية دون انتمائه إلى أيّ جسم سياسي إنَّما هو عمل مبدئي إنساني عند الشّاعر، ويحدِّثنا عن مشاركته الأولى في الأوَّل من أيّار وما تلَّقاه من ضرب وسجن.

إلاّ أنَّ ذلك لم يقتل عزيمته بل جعله يقرِّر أن يسير قُدُمًا في مشاركة العُمّال نضالهم، وأصبح يعتبر كل أيّام السَّنة "أيّام عمّال" فيقول في ذلك:

"أصبح عندي الفاتح من أيّار / بعد مسيرة كلِّ الأعوام المنطفئة / تاريخًا مشكولا بالغبار / فأنا أذكر أنّي منيت السُّلطان بأوَّل لعنة / في أوَّل مسيرة عُمّال تعرفها قريتُنا.. / في أوَّل أيّار..!" (رجوع، صفحات 152-153).

وينتقد الشُّرطة الإسرائيليَّة نقدًا لاذعًا لملاحقتها العمّال العرب، وخاصَّة من منطقة الشّاغور حيث يقول:

"من يدخل صبحًا محكمة الصُّلح هناك / يحسب أنَّ الشُّرطة في هذا الوطن الميسور / لا تعرف ناسًا من شعب آخر / لا تعرف إلا عرب الشّاغور"

مصادر شعره:

نزيه خير شاعر واسع الثَّقافة والمعرفة، إذ كانت المطالعة جزءًا لا يتجزّأ من حياته، لذلك جاءت مصادر شعره غنيَّة جدًّا ومُتنوّعة، وتجدر الإشارة إلى أنَّ أوَّل هذه المصادر هي الطبيعة التي لعبت دورًا كبيرًا في تكوين القاموس الشِّعري للشّاعر نزيه خير، إذ أنَّ الباحث في شعره يرى بساطًا جميلاً من الألفاظ المتعلِّقة بالطَّبيعة، الشَّجر والبحر، والسَّماء، والنَّباتات بأنواعها (وخاصَّة الياسمين) والتُّراب، والحجر، والنُّجوم، والشَّمس، والفضاء، والمطر، والبرد، والحيوان.

الرُّموز الدّينيَّة:

تزخر أشعار نزيه خير بالرُّموز الدّينيَّة من مختلف الدّيانات والطَّوائف مما يدُلُّ على ثقافته الدّينيَّة الواسعة، حيث ذكر نشيد الأنشاد والوصايا العشر وسبعة أيّام الكون والملك داوود، والهيكل والتَّوراة، وكذلك خليل الرَّحمن وحجر مكَّة، وعلي والحسين من الرّموز الإسلاميَّة، وذكر المسيح والصَّليب ومريم من الرّموز النَّصرانيَّة، ويلاحظ تأثُّره بمذهبه الدُّرزي في إنتاجه الأدبي عامَّة.

المصادر التّاريخيَّة:

يوظِّفُ نزيه خير التّاريخ، وخاصَّة العربي القديم، من أجل استنهاض الهمم في القضايا العربيَّة المعاصرة، فيعود إلى رموز قادة الفتوحات من أمثال: عقبة بن نافع، خالد بن الوليد، وصلاح الدّين الأيّوبيّ، فيقول في قصيدته: "شهادة عقبة بن نافع":

قال لي بائع الورد في ساحة المحاربين القُدامى / أين غرناطة التي أرجعتموها (رجوع، صفحة 267).

ثم يقول في نفس القصيدة داعيًا إلى المقاومة:

فاستعد سيفك اليماني من قبيلة لارا / ولا تقل هذه كبوة بين عصر وعصر / ولا تقل هذه رغبة القدر (رجوع، صفحة 268).

ويعبر الشّاعر عن حنينه إلى أيّام النَّصر زمن صلاح الدين الأيّوبي، واحتلال قلاع كسرى في بلاد فارس، وشوقه إلى نصرٍ كنصر معركة حطّين فيقول في قصيدة "موجة هي البحر":

فليرجع لي أيّام صلاح الدين / تعبت قدماي من المشي إلى قلعة كسرى / وتلاشت روحي من حرِّ الشَّوق إلى حطّين (رجوع، صفحة 195).

المصادر التُّراثيَّة:

اعتمد نزيه خير في شعره على الموروث الشَّعبي الذي فصَّحَهُ وجنَّدَهُ لخدمة القضيَّة الفلسطينيَّة، والقضايا العربيَّة مثل قصيدته: "خضرا الهلاليَّة وتغريبة بني صخر" (رجوع، صفحة 167)، إذ أن خضرا هذه هي أمّ البطل الشَّعبيّ أبي زيد، حسب تغريبة بني هلال.

كما تطرَّق إلى أبطال القصَّة الشَّعبية أمثال: أبي زيد بطل تغريبة بني هلال، قائلاً:

ورجعت على خيل أبي زيد (رجوع، صفحة 195).

كذلك ذكره للبطل الشعبي سيف بن ذي يزن وقوم جرهمة وعمار وحام.

وقد أولى نزيه خير بعض الشَّخصيات المهمَّة مكانة عالية في شعره، فكرَّس لهذه الشَّخصيات قصائد نجدها في دواوينه، مثل: الأمير سلطان باشا الأطرش، بدر شاكر السيّاب، عبد الوهاب البياتي، ومحمود درويش.

أسلوبه:

اتَّبع نزيه خير شعر التَّفعيلة في إنتاجه الأدبي على الرّغم من وجود بعض القصائد التقليديَّة، تاركًا نظام البيت ملتزمًا بالقافية والوزن، تاركًا الرَّوي حيث تستعمل البحور الخفيفة الثَّمانية.

اتَّبع نزيه خير القافية الواحدة في القصائد، ثم اتَّبع تعدُّد القوافي في القصيدة الواحدة، الأمر الذي شاع عند بعض شعراء الحداثة، وهي دلالة على قدرة الشَّاعر في التفنُّن في الموسيقى الدّاخلية للقصيدة، وأشار د. نبيه القاسم في دراسته المذكورة آنفًا، إلى أنَّ أكثر بحور الشّعر شيوعًا عنده هو بحر الخَبَب الخفيف. كما مال نزيه خير إلى تسكين القافية في

الكثير من قصائده. ونجد انه نظم أيضا بطريقة الشعر المنصور. واعتمد ظاهرة تكرار الجملة الشعرية أو الكلمة، أما رموزه الشعرية فهي بسيطة قريبة الفهم للقارئ إلا أنها تكون صورة شعرية ذات دلالات عميقة وجميلة.

الخاتمة:

نزيه خير شاعر من شُعرائنا المحلّيين استطاع أن ينفُذ خارج الإطار، ويصل إلى ربوع الجماهير العربيَّة خارج إسرائيل، وكذلك على المستوى العالمي.

وذلك لارتكازه على شاعريَّة صافية صادقة، إذ نهج نهجًا متفردًا خاصًّا به، وارتقى بجدارة سلَّم الشُّهرة دون الاتِّكاء على مؤسَّسة أو إطار معيَّن، بالرّغم من بساطة الكلمة وسهولة اللفظ وعذوبته، إلاّ أنَّه رسم بريشته صورة شعريَّة ذات معنى قريب إلى نفس القارئ.

استفاد حسب اعترافه من تجربة الآخرين ولكنَّه لم يقلِّدهم، فقد تأثّر بالمدرسة العراقيَّة وبشاعريها الكبيرين السياب والبياتي، كما تأثّر بالشّاعر السّوري نزار قباني، وبالشّعراء الفلسطينيّين درويش والقاسم وزياد.

تناول في شعره الهموم الذّاتية والبشريَّة من جميع جوانبها ثم عالج القضايا المحليَّة كالقضية الفلسطينيَّة والقضايا العربيَّة والعالميّة، مثل جيل الشّباب العربي الذي خرج إلى المدينة فصدم من واقعها الصّعب.

اتَّبع أسلوب الحداثة في شعره واستفاد من ذلك التغيُّر الأسلوبي والمضموني للقصيدة العربية الحديثة.

سطَّر شهرته بنفسه ولم يحد عن طريقه أبدًا لذا سيبقى في ذاكرة الأدب صوتًا صافيًا أنيقًا يلذّ في آذان السّامعين، وأذواق القُراء، وشعرًا حالمًا على صفحات الأيّام.

ببليوغرافيا

1. خير سعاد ، الشّاعر نزيه خير، موقع الزّيتونة، 2012
2. خيزران حسن، الشّاعر والأديب نزيه خير، موقع تلعة شبيح، 2012.
3. رجوع، قصائد نزيه خير 1968-1995، شفا عمر ،إسرائيل، 2009
4. شاكر فريد حسن، نزيه خير صنوبرة الكرمل الخالدة، موقع الجبهة، 2012.
5. المعجم، مؤسّسة جائزة عبد العزيز البابطين، الكويت، 2005.
6. مواسي فاروق، الشّاعر النّاعم، موقع مركز النّور، 2012.
7. نزيه خير، موقع رابطة أدباء الشّام، 2012.
8. نزيه خير، الذّكرى الثّالثة لرحيله، موقع وين، 2012.
9. نوفل يوسُف حسن، موسوعة الشّعر العربي الحديث والمعاصر، القاهرة: مؤسَّسة المختار، 2005، ص. 514.